جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش قبل البعثة النبوية

استاذ المادة : أ. م.د . حسين اعبيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

منزلته في قريش في الجاهلية .

ان أهم ما يذكر في هذا الموضوع هو تحكيم قريش لرسول الله ﷺ في مسألة وضع الحجر الأسود مكانه عندما اختلفوا في وضعه لما أعادت قريش بناء الكعبة سنة خمس وثلاثين من عام الفيل وهو أمر شائع لكن المحدثين في الصحاح لم يذكروا شيئاً عن هذه الحادثة على الرغم من أن البخاري ومسلم ذكرا خمس روايات تدل على مشاركة رسول الله ﷺ في نقل الحجارة من أجل بناء الكعبة .

ومن المؤرخين الذين تناولوا هذا الأمر في مؤلفاتهم الزهري الذي قال ان قريشاً بنت البيت حتى بلغت موضع الركن فاختصمت في أي القبائل ترفعه وتنال شرف ذلك ، وتطور الخلاف حتى كاد ان يكون بينهم قتال ، ثم اتفقوا ان يحكموا أول من يطلع عليهم من سكة حددوها ، فطلع عليهم رسول الله ﷺ من تلك السكة وهو غلام عليه وشاح نمرة فحكموه فأمر بالحجر الأسود فوضع في ثوب ثم أمر بسيد كل قبيلة فأعطاه بناحية الثوب ثم ارتقا ورفع إليه الركن فكان هو يضعه ، ويضيف الزهري ان رسول الله ﷺ كان يزداد عند قريش رضا سنة بعد أخرى حتى سمي الأمين وذلك قبل ان ينزل عليه الوحي حتى أنهم لا ينحرون جزوراً لبيع إلا طلبوا منه ان يدعو لهم فيها .

والرواية الأولى لابن اسحاق توافق رواية الزهري هذه في مضمونها مع بعض الاختلاف في الألفاظ ، فابن اسحاق ذكر ان بعض أهل العلم والرواية يزعم ان أبا أمية وكان شيخاً كبيراً وسيد قريش كلها اقترح عليهم ان يحكموا أول داخل باب المسجد وهذا لم يذكره الزهري ، كما انه ذكر ان الخلاف استمر بينهم أربعة ليال قبل ان يصطلحوا على التحكيم والأهم في التباين بين الروايتين ان الزهري جعل تسمية قريش لرسول الله ﷺ بالأمين كان لاحقاً لحادثة التحكيم في وضع الحجر الأسود ، في حين ابن اسحاق جعل هذه التسمية سابقة لهذا الأمر بدليل انه لما طلع عليهم رسول الله ﷺ قالوا هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا ، اما بقية فقرات الروايتين فمتوافقة.

ورواية ابن اسحاق الثانية الذي نقل فيها قول عبد الرحمن الأعرج عمن حدثه عن عمر بن عبد العزيز الذي قال ان حسان بن ثابت حدثه بأن عبد المطلب هو الذي وضع حجر الركن في موضعه ، وان حسان بن ثابت يصرح انه حضر بنيان الكعبة ونظر إلى عبد المطلب جالساً على السور شيخاً كبيراً قد عصب له حاجباه ورفع إليه الركن فكان هو الذي وضعه بيديه ، ويذكر ان أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان جالساً يسمع هذا الحديث فقال لعبد الرحمن انفذ راشداً ، ان هذا الشيء ما سمعنا به قط، وما وضعه إلا رسول الله ﷺ بيده وساق الحديث كما جاء في روايتي الزهري وابن اسحاق الأولى .

ووافق ابن هشام ابن اسحاق في روايته الأولى تماماً ، إلا في قوله ان ابا أمية كان سيد قريش كلها ، ابن هشام قال أسن قريش كلها، وكذلك رواية ابن سعد عن ابن عباس توافق ما تقدم من روايات عند الزهري وابن اسحاق في الرواية الأولى وابن هشام ، إلا انه لم يذكر أمر أبا أمية سيد قريش ولا أسن قريش كما ورد عند غيره، وفي رواية الازرقي الأولى موافقة لما سبقه من الروايات في هذا الموضوع مع اختصار في عرض الرواية، وروايته الثانية في مقدمتها موافقة لما سبقها إلا انه أضاف فيها ، ان رجلاً من أهل نجد كان حاضراً هذه الواقعة فلما أراد رسول الله ﷺ ان يثبت الحجر في الركن واحتاج إلى حجر ليشد به الركن ذهب الرجل النجدي ليناوله الحجر فأبى العباس بن عبد المطلب ونحى النجدي وناوله هو الحجر فغضب النجدي ، وذكر انه يقال ان الرجل كان إبليس.

لم تركز كل الروايات السابقة في هذا الموضوع على سن رسول الله ﷺ عند وقوع الحادثة ، والازرقي في روايته الثالثة التي يرويها الزهري يحدد سن رسول الله ﷺ بقوله لما بلغ الحلم، أي بلغ الخامسة عشر من عمره أو يزيد قليلاً ، وقد تقدم ذكر الروايات في سنه ﷺ عند بناء الكعبة وان الراجح انه كان في سن الخامسة والثلاثين ، وجعل الأزرقي سبب إعادة بناء الكعبة أن امرأة من قريش أرادت أن تجمر الكعبة فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فأحرقتها ثم يذكر بقية الرواية وهي موافقة لرواية الزهري ، كما يذكر ان رسول الله ﷺ كان غلام عليه وشاح نمرة كما جاء عند الزهري.

أما رواية البلاذري الأولى فجعلت سبب إعادة بناء الكعبة لسيل أتى ملأ ما بين الجبلين دخل الكعبة حتى تصدعت ، فعزمت قريش على بنائها من أطيب أموالها وأحلها فهدمتها وأعادت بنائها ، وذكر ان رسول الله ﷺ كان ابن خمس وثلاثين سنة وبين أنَّ قريشاً وكلت ببناء كل ربع من أرباع البيت قوماً فكان لبني عبد مناف مابين ركن الحجر إلى الركن الأسود وهو وجه البيت وفيه بابه ، وأكد حصول الخلاف على وضع الحجر الأسود وأنهم حكموا أول داخل عليهم ولما رأوه رسول الله ﷺ قالوا رضينا بالأمين وذلك قبل ان يوحى إليه فوضع ردائه ووضع الركن فيه وطلب ان يرفع الرداء رجل من كل ربع من قريش ثم وضعه بيده في موضعه، وقول البلاذري في سن رسول الله ﷺ يردُّ قول الازرقي بأنه لما بلغ الحلم ، وان تقسيم البناء على أرباع أمر معقول ومنه ينشأ الخلاف على من يضع الحجر لأن الركن يكون نقطة التقاء ربعين وكل يريد ان يفوز بشرف وضع الحجر الأسود موضعه ، ورواية البلاذري الثانية وافقت ما سبقها من الروايات وليس فيها ما يتوجب الوقوف عليه.

وحَوَت روايته الثالثة شيء من التفصيل الجديدة في هذه الحادثة مع بعض التناقضات، فالرواية عن الواقدي من حديث أبي تجراة عن أمه التي تقول إنها كانت تنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يضع الحجر بيده ، فيسألها عن الثوب الذي حمل فيه ؟ فتقول الثوب للوليد بن المغيرة ، وينقل البلاذري في هذه الرواية قول الواقدي ان الذي أشار بان يضع الحجر أول من يدخل هو أبو حذيفة بن المغيرة بن عبدالله

المخزومي ، ويعود ويقول ان الحجر وضع في كساء طاروني أبيض من نقاع الشام كان للنبي ﷺ ، وعرج كذلك على قصة الرجل النجدي الذي حضر بناء الكعبة وحضر حادثة وضع الحجر في موضعه ، والذي أراد ان يأتي رسول الله ﷺ بحجر ليشد به الركن ، لكنه هنا خالف قول الازرقي في روايته المتقدمة بان العباس منع الرجل الذي جلب الحجر ، والبلاذري جعل رسول الله ﷺ هو الذي امتنع ان يأخذ الحجر من يد الرجل النجدي وأمر عمه العباس ان يأتيه بحجر ، وأكد على غضب النجدي وذكر قوله عمدتم إلى أصغركم سناً وأقلكم مالاً فوليتموه هذه المكرمة ، وكذلك أورد انه يقال لهذا الرجل النجدي إبليس.

ووافق اليعقوبي من جانبه هذه المرة المؤرخين في حادثة وضع الحجر الأسود في تفاصيلها ، إلا في تحديد سن النبي ﷺ إذ قال وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وأضاف وسقّفوها ولم يكن لها سقف قبل ذلك ، وانه وافق البلاذري في سبب إعادة بناء الكعبة بأن سيل أصابها فهدمها.

ووافقت رواية الطبري رواية ابن اسحاق الأولى التي فيها أنَّ أبا أمية بن المغيرة الذي كان اسن قريش كلها هو الذي أشار بتحكيم أول داخل عليهم المسجد فكان رسول الله ﷺ أول داخلاً عليهم وهي لا تخالف بقية الروايات إلا في بعض التعابير .

وبيّن الكليني في روايته الأولى عن أبي عبدالله " ان قريشاً في الجاهلية هدموا البيت فلما أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه وألقي في روعهم الرعب حتى قال قائل منهم : ليأتي كل رجل منكم بأطيب ماله ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم أو حرام ففعلوا فخلي بينهم وبين بناءه فبنوه حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه حتى كاد ان يكون بينهم شر فحكموا أول من يدخل من باب المسجد فدخل رسول الله ﷺ فلما أتاهم أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه ثم تناوله ﷺ فوضعه في موضعه فخصه الله به " ، ولا تخالف رواية الكليني هذه ما سبقها من الروايات في مضمون الحدث .

أما روايته الثانية فالحال فيها مختلف ، فقد ذكر ان سبب هدم البيت لسيل أصاب الكعبة فتصدعت وان سرقة من الكعبة قد وقعت ، وكانت المسروقات غزال من ذهب رجلاه من جوهر ، ويذكر ان حائط الكعبة كان قصيراً ، وبيّن زمن ذلك الحدث بأنه قبل المبعث بثلاثين سنة ، وأوضح كذلك ذرع الكعبة على بناء ابراهيم عليه السلام الطول ثلاثون ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسمك تسعة أذرع ، وان الخلاف حصل عندما بلغ البناء موضع الحجر الأسود واحتكموا إلى أول داخل وكان رسول الله ﷺ فقالوا "هذا الأمين قد جاء فبسط رداءه ووضع الحجر فيه فرفعوه ووضعه النبي ﷺ في موضعه ، وسمى الرجال الذين رفعوا الرداء بأسمائهم : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى ، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم ، وقيس بن عدي من بني سهم"، انفرد الكليني في هذه الرواية بذكره سبب إعادة بناء الكعبة هو السرقة التي وقعت لكنز الكعبة بالإضافة إلى تصدع البيت من

جراء السيل الذي أصابه ، وانفرد بذكر أسماء الذين حملوا الرداء الذي وضع فيه الحجر الأسود ، وانفرد بذكره زمن بناء الكعبة لثلاثين سنة قبل البعثة أي كان سن رسول الله ﷺ عشر سنين فثبت عند المحققين ان مبعثه ﷺ عند سن الأربعين، وهو قريب من قول الأزرقي لما بلغ الحلم كما تقدم ، وكذلك انفرد في ذكر ذرع الكعبة حسب بناء ابراهيم عليه السلام ، وذرع البيت الذي ذكره يستوجب التدقيق فعلى سبيل المثال ذكر ان عرض البيت اثنان وعشرون ذراع وذكر ان سمك الجدار تسعة أذرع والعرض لابد ان يكون فيه جداران فيكون سمك الجداران فقط ثمانية عشر ذراع ويكون عرض الكعبة من الداخل أربعة أذرع أي قريب من مترين حسب طول الذراع الشرعية، فلا يعقل ان بناء بعرض اثنين وعشرين ذراعاً لا يكون عرضه من الداخل إلا أربعة أذرع .

وفي الرواية الثالثة له بين ان رسول الله ﷺ ساهم قريشاً في بناء البيت فصار لرسول الله ﷺ من باب الكعبة إلى النصف مابين الركن اليماني إلى الحجر الأسود، وهذا الأمر لم يذكره أحد غيره سوى ما أورد البلاذري من ان قريشاً قد أفردت بناء كل ربع من أرباع البيت قوماً فكان لبني عبد مناف مابين ركن الحجر إلى الركن الأسود وهو وجه البيت وفيه بابه، ولم يذكر البلاذري ان بني عبد مناف اقتسموا ربعهم بينهم ، كما ان كل الروايات التي ذكرت تحكيم رسول الله ﷺ في أمر وضع الحجر الأسود موضعه ذكرت انه دخل عليهم من الباب ولم يكن معهم عند البناء وهو شرط اختيار الحكم الذي رضوا به جميعاً ، وان وصف البلاذري أدق من وصف الكليني كون ربع الكعبة الذي يقع فيه الباب يكون بين ركن الحجر وبين ركن الحجر الأسود.

وفي ختام القول في مكانته ﷺ في قريش قبل البعثة نختم بالرواية التي أوردها أبو زرعة عن قيس بن السائب الذي كان شريكاً لرسول الله ﷺ في الجاهلية فيصفه " كان خير شريك لا يشاري ولا يماري ".

اتفقت الروايات على ان بناء الكعبة قد تم مع الاختلاف في زمن البناء ، وقال المؤرخون بتحكيم قريش أول داخل عليهم المسجد واتفقوا ان رسول الله ﷺ كان أول داخل عليهم ، واتفقوا ان رسول الله ﷺ أمرهم بوضع رداء ووضع فيه الحجر ثم رفع إلى موضعه واختلفوا إلى من يعود هذا الثوب ، واتفقوا على ان رسول الله ﷺ هو من وضع الحجر في موضعه ، وذكر بعضهم أمر الرجل النجدي الذي أراد ان يشارك في البناء بجلب حجراً ليشد به الركن فمنع من ذلك واختلفوا في من منعه مابين رسول الله ﷺ والعباس بن عبد المطلب ، وكذلك اختلفوا في سبب إعادة بناء الكعبة بسبب حريق أصابها او سيل صدع جدرانها .

وفي أدناه مخطط يوضح شكل الكعبة المشرفة :

Dalil-Alhaj.com

الكعبة المشـــرفة

(قبلة المسلمين)

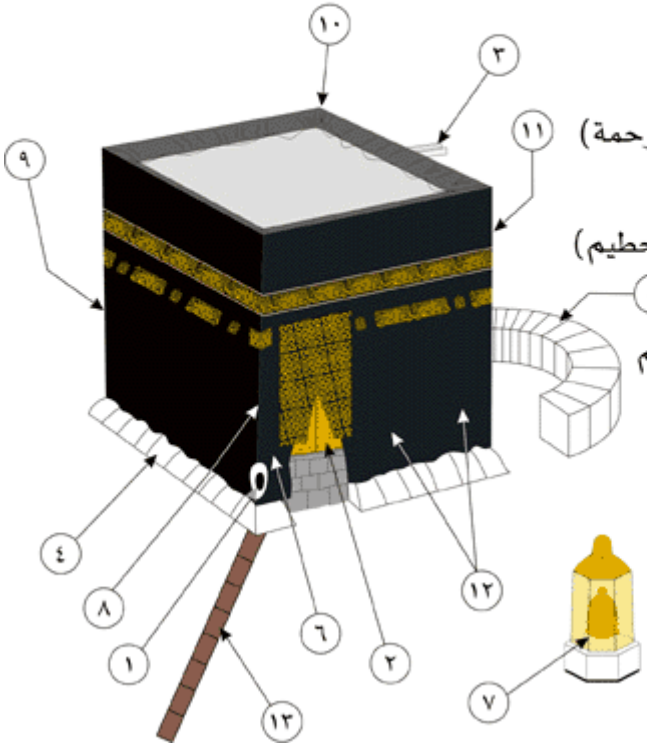

١ - الحجر الأسود
٢ - باب الكعبة
٣ - الميزاب (مزراب الرحمة)
٤ - الشاذَروان
٥ - حجر إسماعيل (الحطيم)
٦ - المُلتَزَم
٧ - مقام سيدنا إبراهيم
٨ - ركن الحجر الأسود
٩ - الركن اليماني
١٠ - الركن الشامي
١١ - الركن العراقي
١٢ - ستار الكعبة
١٣ - خط المرمر البني